المراسلات والهدايا بين العباسيين والبيزنطيين
132 - 320 هـ / 750 - 932 م

طـه خضير عبيد*
رنـا صلاح طاقة

ملخص

يسعى البحث إلى معالجة موضوع المراسلات والهدايا المتبادلة بين الخلافة العباسية والدولة البيزنطية للمدة 132-320 هـ / 750 – 932 م. ويتناول البحث تلك المراسلات وتطورها وأنواعها وأساليبها وأغراضها التي عززت الاتصال الدبلوماسي وخدمته، وتوصل إلى حل غالبية المشكلات بين الدولتين. ويجيب البحث عن عدة تساؤلات عن طبيعة تلك العلاقات وأهميتها.

Abstract

The research deals with the accessories related to the office of a diplomatic representative such as correspondences and gifts which constitute a significant aspect of the job of a diplomat, and an important factor of its development, since such things show, good-offices and desire to open up a new phase between the states, and which equally hold in the relations between Baghdad and Byzantium.

* قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق.

تاريخ تقديم البحث: 2002/3/23   تاريخ قبول البحث: 2004/12/1

مقدمة:

لم تكن العلاقات بين الدولتين العربية الإسلامية والبيزنطية تقتصر على العداء والحروب كما هو معروف، بل شملت صلات سلمية وعلاقات ودية بينهما. وبذلك فإن الصلات بين الطرفين لم تنقطع طيلة العصور الوسطى ولكنها مرت بفترات من المد والجزر وتباينت بين اتصالات سلمية وحربية. وتعد المراسلات الدبلوماسية شكلاً من أشكال الاتصال لتحقق ما قد يعجز عن تحقيقه السفراء والرسل، لأهميتها في التمهيد لنجاح التفاوض.

وتأتي المراسلات أو المكاتبات في مقدمة الاتصالات كونها محمولة من السفراء والرسل أو تأتي قبلهم أو بعدهم، وليست بالضرورة أن تحقق هذه المراسلات أهدافها في السلام والهدنة أو تبادل الأسرى لأن عدداً منها لها عكس ما يراد منها، ورافقت تلك المراسلات أنواع من الهدايا التي يحملها السفراء والرسل أو التي ترسل بين الخليفة والإمبراطور.

اولاً: المراسلات وتطورها:

تسجل المراسلات أو المكاتبات حضوراً سبق السفارات أو رافقها أو أعقبها، وتلعب دوراً مهماً في التمهيد لنجاح العمل الدبلوماسي أو تعزيزه أو بالعكس، وهي شكل من أشكال الاتصال الدبلوماسي المهم، وقد بدأت المراسلات المكتوبة بين العرب المسلمين والروم البيزنطيين تحديداً في سنة 6 هـ / 628 م عندما أرسل الرسول محمد ﷺ كتاباً إلى هرقل إمبراطور الروم (610-641م) يدعوه إلى الإسلام [1]. وسجلت المراسلات حضوراً واضحاً زمن الخلفاء الراشدين، بين الخلفاء وقادة الجيوش الإسلامية من جهة وأباطرة بيزنطة من جهة أخرى، وحمل بعضها متنصرة العرب[2] . واتسعت المراسلات بصورة أكبر في العصر الأموي لأسباب عدة منها قرب العاصمة دمشق وسياسة الأمويين الحربية البرية والبحرية تجاه الروم البيزنطيين، وحفظت لنا المصادر التاريخية صوراً منها، وكان أبرزها المراسلات التي جرت بين الخليفة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/ 705-715م) وجستنيان الثاني (86-92هـ / 705-711م)، والتي طلب فيها الخليفة مساعدة الإمبراطور في عمارة مسجد الرسول محمد ﷺ ،[3] والرسالة التي بعثها الإمبراطور جستنيان إلى الخليفة الوليد يعاتبه فيها لهدمه كنيسة دمشق قال فيها: ((إنك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها، فإن كان صواباً فقد أخطأ أبوك، وإن كان خطأ فما عذرك ؟))[4].

ومع أن المراسلات بلغت درجة من الوضوح والتطور والتوسع في العصر الأموي بسبب المشكلات الحربية وما نتج عنها أو لأغراض ثقافية وسياسية، إلا أنها لم ترق إلى المستوى الذي وصلت إليه في العصر العباسي وهو الأمر الذي فرضته الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية والحضارية، التي وجدتها بيزنطة ضرورية حتى

من دون مناسبة كما يقول نيقولا مستيكس في رسالته إلى الخليفة المقتدر بعد سنة 305هـ/ 917م [5]. وهذا التطور يرتبط بتطور الحضارة وتقدمها، وطبيعة العلاقات بين الدولتين وسهولة وسائل الاتصال وطول الفترة التاريخية. ولأنها تعكس وتقيس درجة التقدم الحضاري بينهما ولتحقيق مصالح الطرفين. وتعد قلة المراسلات في المصادر البيزنطية وكثرتها في المصادر العربية واحدة من جوانب حفظ التفوق الدبلوماسي العربي الإسلامي.

1- أنواع المراسلات:

تشكل المراسلات بين الدولتين العربية الاسلامية والبيزنطية طوراً تمهيدياً يسبق تحقيق الأهداف والغايات المرجوة من الدبلوماسية الممثلة بالاتصال عن طريق السفارات وفي الوقت نفسه تعكس مكانة الدولتين العربية الإسلامية والبيزنطية وأسلوبهما السياسي والدبلوماسي والحضاري، وتؤدي دوراً كبيراً في تهيئة أجواء السلام بين الدولتين أو في حل المشكلات القائمة بينهما، وتقسم هذه المراسلات إلى نوعين من حيث مصدرها ووجهتها:

أ- ما يكتبه الخلفاء والأباطرة:- يكون هذا النوع من المراسلات في حالات السلم الاعتيادية، وتستخدم فيها عبارات الاحترام والتقدير. التي تدل على المشاعر الودية والأخوية بينهما، كإرسال الإمبراطور تيوفيل (214-227هـ/ 829-842م) رسالة إلى الخليفة المأمون التي ابتدأها بـ: ((لعبد الله غاية الناس في الشرف ملك العرب من تيوفيل بن ميخائيل ملك الروم ...))[6]. وعندما أرسل الإمبراطور ارمانوس بكتاب إلى الخليفة الراضي (322-329هـ/ 934-940م) وابتداه بـ: ((إلى الشريف البهي صاحب سلطان المسلمين))[7].

ولم تكن المراسلات وقفاً على أباطرة بيزنطة، بل شارك فيها بطارقة القسطنطينية كرسالة نيقولا مستيكس (299-312هـ / 912-925م) وهو الوصي والمسؤول عن العلاقات الخارجية في هذه المدة إلى الخليفة المقتدر (295-320هـ / 908-932) التي ابتدأها بـ:

((إلى الأشهر الأشرف الأدنى إلى المحبة))[8] وطلب الصلح فيها ووضح بأن العالم ينقسم إلى قوتين وهما قوة العرب وقوة الروم تعلوان وتتألقان كالشمس والقمر في السماء [9].

وتختلف أساليب لهجة الرسائل في حالات الحرب عنها في حالات العداء، إذ تستخدم عبارات تدل على إظهار القوة والتهديد والوعيد، فمن الرسائل القادمة إلى الخلفاء، رسالة نقفور إمبراطور الروم (187-196هـ/ 802-811م إلى الخليفة الرشيد فقد قال فيها مهدداً: ((وافتد نفسك بما تقع

المصادرة عليه، وإلا فالسيف بيننا وبينك) [10]. فإن الرسائل الدبلوماسية تعكس من لهجتها وأسلوبها طبيعة العلاقات القائمة وتكون حكماً صادقاً في ذلك.

ب- ما يكتب بين الوزراء والقادة العسكريين: وتشبه هذه المراسلات سابقتها من حيث استخدام عبارات الاحترام والتقدير، وتختلف عنها كونها تكتب بين الوزراء وقادة الجيوش العربية الإسلامية والبيزنطية وليس بين الخلفاء والأباطرة[11] ، كرسالة الإخشيد محمد بن طغج إلى إمبراطور ارمانوس[12] ، والرسائل المتبادلة بين أمراء دمشق وطرسوس والوزير البيزنطي ليوخيروسفاكتس سنة 289 - 290 هـ / 905-906م[13] وأمير ملطية إلى الإمبراطور ارمانوس وانتهت إلى عقد المعاهدات بينهما سنة 316هـ / 928م[14] . وكان ما يصدر عن الخليفة المنصور مثلاً له صيغة معينة، فلابد أن يعنون بالبسملة المستخدمة في كل أنواع المراسلات، متبوعة بعبارة: من عبد الله، تواضعاً لله، ويذكر من ألقابه الإمام وأمير المؤمنين وغيرها[15].

2- أساليب كتابة المراسلات:

خضعت المراسلات الدبلوماسية إلى قواعد وأسس للدبلوماسية المكتوبة وأساليب متأثرة بأساليب أدب الرسائل في كتابتها وصياغتها ويرتبط ذلك بتقدم الحضارة العربية الإسلامية وسموها وارتفاع شأنها بين الدول المجاورة لها، وكانت كل المراسلات الصادرة من العرب المسلمين تبدأ بالبسملة ويكون حسن الافتتاح بها أو بالحمد لله كما في عدد من المراسلات، كالرسالة التي أرسلها الخليفة الرشيد إلى قسطنطين إمبراطور الروم (160-181هـ/ 776-797م) التي ابتدأها: ((من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى قسطنطين عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى، فإني أحمد الله الذي لا شريك معه، ولا ولد له، ولا إله غيره، أما بعد ...))[16]. وذلك لأن النفوس تتشوق إلى الثناء على الله تعالى أو بالسلام[17] وبعد السلام والتحية تفتتح المراسلات بلفظ "أما بعد" [18]، كالرسالة السابقة، والرسالة التي بعثها الخليفة المعتصم إلى تيوفيل إمبراطور الروم حيث ابتدأها: ((بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد ...))[19].

ومن الأمور الأخرى الواجب توافرها في المراسلات الأجنبية ومنها البيزنطية هو افتتاحها باللقب اللائق للمكتوب إليه وتفتتح باسمه تعظيماً له ولمنزلته [20]، كما ابتدأ نقفور إمبراطور الروم رسالته إلى الخليفة الرشيد ((لعبد الله هارون أمير المؤمنين من نقفور إمبراطور الروم. السلام عليكم))[21]. ويكتب اسم الخليفة في رسالته أولاً من قبله، كما أنه يجب أن يذكر اسمه أولاً عندما يراسله الإمبراطور البيزنطي. وهو تقليد دبلوماسي حافظوا عليه دلالة على قوة الخلفاء وثبات مركزهم السياسي والديني. وازدادت كتابة المراسلات تعقيداً مع مرور الزمن، فكان بعض الخلفاء أحياناً يرفضون قراءة الرسائل التي ترد إليهم بحجة أنها ابتدأت باسم المكتوب منه وليس المكتوب إليه متماشياً مع التقليد السابق الذكر، كالكتاب الذي أرسله الإمبراطور تيوفيل إلى الخليفة

المأمون، حيث ابتدأه باسمه فأثار ذلك سخط الخليفة المأمون[22]، وكانت هذه الحادثة على الأرجح بعد سنة 214 هـ/ 830 م بعد تولي تيوفيل الحكم، فرد الكتاب دون قراءته لأنه بدأه بنفسه [23]. مما اضطر الإمبراطور تيوفيل إلى إرسال كتاب ثان بدأه باسم الخليفة المأمون ((إلى عبد الله أشرف الناس ملك العرب من تيوفيل ملك الروم ...))[24]. وإرسال الكتاب الثاني لا يخرج عن كونه تقليداً دبلوماسياً ليؤكد منزلة الخلافة بين دول العالم آنذاك. ويظهر الأسلوب المرن في الرسائل البيزنطية لتتجنب غضب الخلافة القوية لا سيما بعد ارتكاب بيزنطة خطأ فادحاً وهجوماً على مناطق الثغور.

وبعد الحمد لله والسلام، يوضح الغرض ومحتوى الرسالة التي تكون لشيء محدد أو أكثر من طلب، وتختتم بالدعاء ثم السلام [25]، كما ختم الإمبراطور نقفور وبعده الإمبراطور تيوفيل رسائلهما بالسلام [26]. ويحدد Jenkins إمكانية تحليل الرسائل وغيرها بين الخلفاء والأباطرة، وبخاصة تلك المراسلات المنسوبة إلى من هو أدنى منهم. وناقش Jenkins بتحليل علمي الرسالة التي أخطأ بعضهم في عدها بين الإمبراطور البيزنطي وأمير كريت، وأثبت في تحليله أنها موجهة إلى الخليفة المقتدر.

وتميزت المراسلات بسهولة اللفظ، وقوة السبك ووضوح المعنى، وتجنب الحشو وغير ذلك من موجبات التحسين[28]، كالكتاب الذي أرسله الخليفة المعتصم إلى الإمبراطور تيوفيل بعد تخريب الروم لمدينة زبطرة سنة 222هـ / 837م ((بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد: فقد قرأت كتابك، وفهمت خطابك، والجواب ما ترى لا ما تسمع به، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار))[29] . ويعد هذا الكتاب الصغير في حجمه، الكبير في دلالته ومعناه الواضح وألفاظه السهلة الواضحة والبعيدة عن استخدام المحسنات اللفظية والحشو في الكلام دليلاً واضحاً على قوة الدبلوماسية التي حددت بلغتها ما تريد. واستخدمت فيه لهجة التهديد بسبب العلاقات المتوترة بين الدولتين وتجاوزات الروم البيزنطيون على زبطرة، وحزم الخليفة المعتصم في أخذ الثأر لأهلها. فكان أباطرة الروم البيزنطيين يكتبون على كتبهم من فلان ملك النصرانية، فغير ذلك نقفور (187-196هـ/ 802-811م) وكتب ملك الروم، فقال: هذا كذب ليس أنا ملك النصرانية، أنا ملك الروم والملوك لا تكذب[30]، لأن المسيحية في هذه المدة تحكمها دولتان هما دولة الروم البيزنطيين الشرقية في القسطنطينية ودولة شارلمان أو الدولة الرومانية الغربية المقدسة وبسبب اختلافهما المذهبي، حدد نقفور في رسالته ذلك[31].

3- استخدام اللغة الدبلوماسية:

والمقصود باللغة الدبلوماسية هنا هي اللغة المستخدمة في الدولتين، فكانت اليونانية لغة الروم البيزنطيين، والعربية لغة العرب المسلمين وهي لغة الحضارة العربية الاسلامية، واللغة التي نزل بها القرآن الكريم على أكبر أمة وحضارة عربية إسلامية وأقوى دولة آنذاك[32]. واستخدم الطرفان أسلوب ختم الرسائل بدلاً من التوقيع،

وأصبحت عملية تحرير الرسائل من ديوان الإنشاء وديوان الرسائل في القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد واستمرت فيما بعد[33].

وتحتوي المراسلات على التوريات الشديدة والرشيدة والحذرة التي تحمل أحياناً معاني فيها عنف وشدة دون إثارة أو تجاوز لقواعد الآداب المرعية[35]. وهذا العرف الدبلوماسي يعود الفضل فيه إلى العرب المسلمين وأخلاقهم العالية ضمن مبادئ العرب الدبلوماسية أخلاقاً وكياسة.

وقد مهد الخليفة المهدي لأعماله العسكرية على جبهة الروم البيزنطيين بعملية من التهديد، فقد أرسل إلى الإمبراطور ليو الرابع (132-157هـ / 750-775م) مكوكين من حب الخردل الأسود مع كتاب يقول فيه أنه سيرسل جيشاً بعدد هذا الحب الذي يراه[36]. وهي تدلل على بلاغة البيان العربي الإسلامي وقوته وعزم الخليفة القوي. وساعدت العلاقات المتوترة بين الرشيد سنة 187هـ / 802م الدولتين على إرسال رسائل التهديد والوعيد بخاصة بعد نقض الإمبراطور نقفور للمعاهدة التي عقدها مع الخليفة فأرسل الخليفة كتاباً قال فيه: ((قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون أن تسمعه))[37]. وفي رسالة التهديد الجوابية التي أرسلها الخليفة المعتصم إلى تيوفيل ((... والجواب ما ترى لا ما تسمع به....))[38]. أن هذا النوع من المراسلات يحتوي على التوريات الكثيرة، واستخدمت للدلالة على قوة الخلافة عسكرياً وسياسياً وإصرارها على تحقيق مصالحها وأهدافها.

وتشير اللغة الدبلوماسية أحياناً إلى أن العلاقات الدبلوماسية قد وصلت إلى طريق مسدود ولا مجال لوجود حل دبلوماسي آخر، كالتهديد الذي وجهه الخليفة المأمون إلى تيوفيل إمبراطور الروم مع رسوله بعد الدخول في مفاوضات معهم سنة 217هـ / 832م ((ارجع إلى سيدك وليس بيني وبينه إلا السيف، يا غلام اضرب الطبول))[39]. فلم يكتف الخليفة المأمون هنا بإعلانه عن اخفاق المفاوضات، وإنما عمد إلى إعلان ضرب الطبول أي النفير والحرب. وجاء هذا الإعلان نتيجة لوقوع عدد من الصدامات العسكرية سنة 214هـ / 829م مما أدى إلى تدهور العلاقات بين الدولتين[40].

ولا شك أن أي خطأ في استعمال التعابير الدبلوماسية، قد يؤدي إلى تدهور العلاقات بين الدولتين بدلاً من تحسنها، وبذلك يعد العمل الدبلوماسي عملاً فاشلاً أو بالعكس. وقد كانت الرسائل التي ترد إلى العرب المسلمين مصحوبة بالترجمة العربية كالكتاب الذي أرسله أرمانوس إمبراطور الروم سنة 326هـ / 938م إلى الخليفة الراضي كانت كتابته اليونانية بالذهب ومصحوباً بترجمة عربية كتبت بالفضة[41]. وحضر المترجمون من الدولتين وعملوا على ترجمة هذه المراسلات للتأكد من محتواها. واعتادت الدبلوماسية البيزنطية على

استخدام لغتين في المراسلات، لغتهم اليونانية، ولغة البلد المرسل إليه، وهي تكاد تكون سمة مرافقة لدبلوماسية بيزنطة[42].

4- أغراض السفارات والمراسلات:

نتيجة للتداخل الواضح بين السفارات والمراسلات، عولج الموضوع كوحدة قائمة، وإن كانت هناك مراسلات مجهولة في طريقة تسليمها التي أوردتها مصادر الطرفين، لابد أن ترسل مع سفير أو وفد، و لم ترد نصوص هذه الرسائل في المصادر واكتفت بمجرد الإشارة إلى وصول رسالة مع فحواها ليس أكثر، وهي المشكلة التي لم يستطع الباحث إيجاد حل لها. وقد تعددت الأغراض نتيجة لتطور أهداف الدبلوماسية بين الدولتين، والتي رافقها تطور في العلاقات السياسية بينهما، وهذه الأغراض هي:

أ-التبادل والفداء:

كان أكثر ما يتردد الرسل لإجراء التبادل والفداء، وكانت الحروب بين الطرفين متواصلة، ينال المسلمون من العدو وينال العدو منهم ويأسر بعضهم بعضاً. ولدينا نماذج عديدة عن مراسلات الفداء زمن الخلافة العباسية، فكتب تيوفيل إلى الخليفة المأمون سنة 217هـ / 832م يطلب منه الصلح وعرض الفدية وفك المستأسر[43]. وكانت أغلب المراسلات من جهة الروم البيزنطيين إلى الدولة العربية الإسلامية، وهذا دليل على إخفاقهم وضعفهم أمام قوة العرب المسلمين، والتبادل يكون رجلاً برجل، ومن زاد منهم فإنه يفتدى بالمال من بيت مال خصص جزء من أمواله لافتداء الأسرى بأمر من الخليفة، و لم يحدث هذا إلا في حالة واحدة في سنة 189هـ / 804م عندما وافق الخليفة الرشيد على فداء الأسرى وافتدى جميع الباقين من بيت المال[44]. وكتب تيوفيل رسالة إلى الخليفة المعتصم بعد معركة عمورية يطلب فيها إطلاق سراح بطارقته ((أن تنعم علي بإطلاق بطارقتي))[45] وجاءت هذه الرسائل بسبب حجز أسرى العرب المسلمين في السجون البيزنطية التي تشكل عبئاً اقتصادياً وأمنياً كبيراً على بيزنطة[46]، وبما لدى العرب المسلمين من أسراهم، وإخفاق بيزنطة في توطين أسرى العرب المسلمين، مما اضطر بيزنطة مراراً أن تبدي حسن النية وتطلب الفداء. وكان الروم البيزنطيون أحياناً يرسلون رسائلهم لفداء شخص واحد فقط مقابل مجموعة كبيرة من أسرى العرب المسلمين[47]. وهذا ما حصل فعلاً عندما أرسل الإمبراطور تيوفيل إلى الخليفة المعتصم سنة 223هـ / 837م قائد بند خرسيون وهو باسيل، وتضمنت الرسالة أسف الإمبراطور لما حل بزبطرة من دمار وطلب من الخليفة إطلاق سراح ايتيوس (قائد الجيش البيزنطي في عمورية) مقابل أن يطلق سراح من عنده من أسرى العرب المسلمين، غير أن الخليفة رفض الطلب والعرض. وكذلك الفداء الذي وقع في خلافة الواثق سنة 231هـ/ 845م [48].

واستمرت مراسلات الفداء وتبادل الأسرى إلى وقت طويل من زمن الخلافة العربية الإسلامية فكتب أرمانوس إمبراطور الروم برسالة إلى العرب المسلمين سنة 324هـ / 936م في طلب الفداء فأجابه عليها الأخشيد محمد بن طغج ((نحن على بينة لهم من أمرهم وثبات من حسن العاقبة وعظيم المثوبة عالمين بحالهم.....))[49].

ويعد تبادل الأسرى من أهم أغراض المراسلات والسفارات والدبلوماسية بشكل عام، لأن وقوع أعداد كبيرة من الأسرى والسبايا، كان نتيجة حتمية للحروب المتواصلة بين الدولتين العربية الإسلامية والبيزنطية، كما تؤكد هذه المراسلات في الوقت نفسه تفوق الدولة العربية الإسلامية في المعارك التي خاضتها ضد الدولة البيزنطية، وأنها عازمة على تخليص أسراها مدفوعة بالواجب الديني والقومي والإنساني والحضاري، مما يعني أنها تتفوق في دبلوماسيتها التي تحقق أهدافها وبشكلٍ مرض لها[50].

ب- الأغراض السياسية:

وتسمى بالأغراض الحربية لأنها سبب في إعلان الحرب بين الدولتين وجزءاً من سياسة الدولة والإعلان عن فشل المفاوضات والبدء بإشعال نار الحرب بينهما. وتحمل هذه المراسلات في طياتها إعلاناً بالتهديد والوعيد ضد الدولة الأخرى كتهديد الإمبراطور نقفور سنة 187هـ / 802م والموجه إلى الخليفة الرشيد ((وافتد نفسك بما تقع به المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك))[51]. وكان هذا الأسلوب متبعاً عند الروم البيزنطيين وأباطرتهم لغرض إخافة العرب المسلمين وإرهابهم. وهذا واضح من رسالة تيوفيل إمبراطور الروم إلى الخليفة المأمون وكانت لهجة التهديد بارزة جداً ((فإني لخائض إليك غمارها آخذ عليك إسدادها شأن خيلها ورجالها))[52].

فضلاً عن لجوء عدد من المناوئين لبيزنطة وانضمامهم للدولة العربية الإسلامية مثل توماس الصقلبي (206-208هـ/ 821-823م)، وهو من صقالبة آسيا الصغرى[53]، وقاد ثورة داخلية في الدولة البيزنطية، هيأت للمسلمين الفرصة لأن يشنوا غاراتهم على الأراضي البيزنطية، بخاصة بعد عقد معاهدة بين الخليفة المأمون والثائر الصقلبي، وأدت هذه الثورة دوراً كبيراً لا يمكن تجاهله في إضعاف الدولة البيزنطية براً وبحراً وخسارة بيزنطة لكريت وصقلية، وانعكس هذا على طبيعة المراسلات بين الدولتين[54].

ومن الملاحظ أن هناك تشابهاً أو تطابقاً تفصيلياً في الرسائل المتبادلة بين بغداد والقسطنطينية[55] في مجال الغرض السياسي. فالخلافة العباسية كانت هي الأخرى ترد على رسائلهم وتجيب على رسائل التهديد والوعيد مثل كتاب الخليفة الرشيد إلى نقفور إمبراطور الروم[56]، ورسالة الخليفة المعتصم الجوابية إلى تيوفيل إمبراطور الروم جواباً على رسالة التهديد التي أرسلها الإمبراطور البيزنطي إليه[57]. التي جاءت نتيجة للحركة الخرمية

التي قام بها الخارج بابك الخرمي سنة 201هـ / 816م، والتي لم يستطع الخليفة المأمون القضاء عليها لأسباب كثيرة، إلا أن الخليفة المعتصم تمكن من القضاء عليها والتفرغ إلى جبهة الروم البيزنطيين[58].

إن الفرق بين رسائل الدولتين هو استطاعة العرب المسلمين من تحويل هذه التهديدات من الورق إلى أرض الواقع، لذلك كان الروم البيزنطيون يتراجعون عن تهديداتهم دائماً عن طريق إرسال رسائل أخرى تطلب ود العرب المسلمين ومصالحتهم وعدم الدخول في قتال معهم[59]. كرسالة نقفور إلى الرشيد بعد فتح هرقلة ورسالة تيوفيل إلى المأمون عندما توجه بحملته إليهم، لإدراكهم بقوة العرب العسكرية[60] ، وكالرسالة التي أرسلها نيقولا مستيكس إلى الخليفة المقتدر ولم تحدد سنتها، ولكنها على الأرجح كانت بعد سنة 305هـ/ 917م وطلب فيها ود العرب المسلمين وإقامة السلام الدائم بين الدولتين[61].

وتكون معاهدات الصلح وهدن السلام ضمن الأغراض السياسية والحربية للمراسلات، فكان الروم البيزنطيون يلجأون كثيراً لطلب الهدنة من العرب المسلمين إذا اشتد عليهم القتال. أو عندما تكون علاقاتهم متوترة مع البلغار والخزر والسلاف المجاورين لهم. كالهدنة التي عقدها هارون بن المهدي مع إيريني إمبراطورة الروم سنة 165هـ / 781م[62] ، فقد طلبت إيريني الصلح والموادعة، وكانت الدولة العربية الإسلامية هي التي فرضت شروطها على الدولة البيزنطية انطلاقاً من مركزها وقوتها وتفوقها آنذاك. غير أن هذه المعاهدة نقضت بعد اثنين وثلاثين شهراً فقط من عقدها من قبل بيزنطة، وقبل وفاة الخليفة المهدي. وبدأ عهد الخليفة هارون الرشيد سنة 170هـ / 786م بحروب متواصلة ضد الروم البيزنطيين، وبرهن الخليفة على نجاحه ليس بالدفاع والحروب العسكرية فحسب، بل من خلال عقد المعاهدات والمراسلات المتبادلة بين الطرفين التي تدل على خبرته وطريقة استحكاماته وإدارته للدولة بشؤونها المختلفة[63]. وكانت الدولة البيزنطية تلجأ دائماً لى الإسراع في عقد الصلح والهدن، لشعورها بالضعف أو بسبب أوضاعها الداخلية، أو تأزم علاقاتها الخارجية مع الدول المجاورة. ومن الوثائق الدبلوماسية المكتوبة أن تيوفيل إمبراطور الروم كتب إلى الخليفة المأمون يسأله الصلح وعقد الهدنة بينهما[64].

وإذا كانت المراسلات بين ملك مسلم وآخر غير مسلم، فإنها تفتتح بلفظ (هذه هدنة) أو بلفظ (استقرت الهدنة بين فلان وفلان)[65]، وقد تفتتح المهادنة بخطبة تبدأ بحمد الله وهذا دليل على إيمان المسلمين بالله وبعقيدتهم الدينية الإسلامية.

ويتضح أن الإعلان عن نجاح دور الدبلوماسية المقترنة بالحرب والقوة، واضحة من بنود المعاهدات المعقودة مع الروم البيزنطيين، كالمعاهدة المذكورة في سنة165هـ/ 781م بين هارون ولي العهد وإيريني إمبراطورة الروم، التي كان من بنودها أن تدفع الإمبراطورة مبلغاً كبيراً من المال، وأن تقيم الأسواق والإدلاء للعرب المسلمين[66] وغيرها من البنود الأخرى التي تدل على قوة الدولة العربية الإسلامية المقترنة بالدبلوماسية

الحكيمة، فضلاً عن المعاهدة التي أبرمها الخليفة الرشيد مع نقفور إمبراطور الروم التي تضمنت بنوداً بألا يعمر نقفور مدينة هرقلة وأن يدفع الجزية للخليفة[67] وغيرها من الشروط الأخرى التي تدل على التفوق العسكري والسياسي للدولة العربية الإسلامية. ومن المؤكد أن الخلافة العباسية لم تكن المبادرة في توقيع هدنة و لم تدفع جزية طيلة العصر العباسي الأول، لأنها القوية الفارضة لشروطها، و لم تسجل طيلة هذه المدة أن دفع خلفاء بني العباس أموالاً لبيزنطة، بل بالعكس هم الذين فرضوا الجزية على بيزنطة، وهم الذين حددوا كذلك مدة الهدنة لأهداف خاصة بهم وبجيوشهم[68].

وجدير بالذكر أن أغلب المعاهدات والهدن كانت تتم بين العرب المسلمين والروم البيزنطيين، وهي نتيجة طبيعية للحملات العسكرية المتكررة بين الطرفين، وتعد هذه الهدن الفرصة الملائمة لتقوية الحصون والثغور والقلاع والآلات الحربية وتبادل الأسرى بين الدولتين[69]، وراحة المقاتلين والاستعداد مرة أخرى للمواجهة، إذن هي مجرد مدة قصيرة من الزمن تتم فيها استعادة قوى الطرفين. ولاتوقع هذه الهدن إلا من خلال الاتصال الدبلوماسي بينهما.

جـ- الأغراض الثقافية:

لم تقتصر العلاقات بين الدولتين العربية الاسلامية والبيزنطية على الجوانب السياسية فحسب، بل كانت تتخللها في بعض الأوقات مدة للسلم يتم فيها تبادل السفراء والمراسلات الخاصة بالجوانب الثقافية والأدبية والرغبة في الإطلاع على المعالم الحضارية والثقافية في الدولتين كلتيهما. و لم يغفل الخلفاء العباسيون أهمية دولة الروم البيزنطيين كونها وارثة علوم اليونان وتراثهم. فدأب الخلفاء على أن يبعثوا إلى القسطنطينية يطلبوا من أباطرتها الكتب النادرة وغيرها من كنوز المعرفة اليونانية كما فعل الخليفة المنصور عندما بعث إلى بلاد الروم يطلب كتباً يونانية، فأجابه الإمبراطور البيزنطي ليو الرابع (132-157هـ/ 750-775م) على طلبه وارسل اليه كتباً من بينها كتاب إقليدس[70].

و لم يغفل الخليفة المأمون هذا الاتصال الثقافي بدولة الروم البيزنطيين فطلب الكتب والمؤلفات اليونانية منها. فراسل الإمبراطور ليو الأرمني (198-205هـ/ 813-820م) يطلب منه السماح للسفارات العربية الإسلامية بالحصول على المصنفات اليونانية القديمة في الفلسفة والهندسة والطب. وأجابه الإمبراطور البيزنطي إلى ذلك[71].

واشتهر الخليفة المأمون بحبه للعلوم والمعرفة فبلغت حركة الاتصال الثقافي أوج تقدمها في عهده. فأرسل رسالة شخصية إلى تيوفيل إمبراطور الروم يطلب فيها السماح بإيفاد عالم الرياضيات ليو إلى بغداد لمدة قصيرة، وأنه يعد قبول الإمبراطور لهذا الطلب عملاً ودياً، ويعرض لذلك ألف قطعة من الذهب وعقد صلح دائم[72]،

غير أن الإمبراطور رفض طلبه، لاسيما أن دولة الروم البيزنطيين عدت علم ليو واختراعاته التي كان يقوم بها من الأسرار التي ينبغي ألا يطلع عليها العرب المسلمون(73). وجدير بالذكر أن هذه المدة شهدت المرحلة الثانية من الترجمة اليونانية إلى العربية وبخاصة في هذه العلوم(74) وعرف عن الخليفة المأمون أنه كان يتصيد الكتب النادرة ويدفع فيها المبالغ الطائلة ويجعل عدداً منها شرطاً من شروط الهدنة مع الروم البيزنطيين(75).

ومن الأمور الأخرى التي عبرت عن عمق الاتصال الثقافي بين الدولتين، السفارة التي أرسلها الخليفة الواثق (227-232هـ / 842-847م) إلى الدولة البيزنطية للإطلاع على أصحاب الرقيم ومشاهدة الكهوف المحفوظة فيها جثثهم وهم الذين استشهدوا زمن الإمبراطور دقلديانوس (284-305م)، وأرسل الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث (232-257هـ / 842-867م) بدوره المرافقين والإدلاء للتعريف والإطلاع على أصحاب الرقيم(76). و لم تخل السفارات الثقافية من دعابات لطيفة، وهي أشبه ما تكون بالمراسلات الأدبية(77).

وتعود أسباب تطور العلاقات الثقافية بين الدولتين إلى رغبة العرب المسلمين في التعرف إلى حضارات غيرهم، وتفتح حضارة العرب المسلمين ورغبتهم في تحقيق النهوض الحضاري. فضلاً عن نشاط عدد من الخلفاء العباسيين في الجوانب الثقافية والعلمية كالمنصور والمأمون والواثق والمقتدر وغيرهم(78) ، الذين بذلوا جهداً كبيراً في جلب الكتب اليونانية وفي ترجمتها إلى العربية، وإرسال البعثات العلمية إلى القسطنطينية(79)، وتعد المراسلات والاتصالات الثقافية بمثابة عقد هدنة للصلح والسلام بين الدولتين. وبرزت هنا أهمية الدبلوماسية في تحقيق الأهداف الثقافية والعلمية والعمل على تنميتها وازدهارها حضارياً ليس مع بيزنطة فحسب، بل مع جميع الأمم والدول كالهند والصين وغيرهم(80).

د-الأغراض الدينية:

كان للمراسلات الدينية أهمية كبيرة لأنها تبرهن على احترام الدين الإسلامي للأديان الأخرى ومترلتها ومكانتها، وهي بمثابة دعوة غير المسلمين للإسلام. وأن الأمور المهمة التي اضطلعت بها عدد من السفارات المتبادلة بين الدولتين وحملت السلطات الحاكمة في الدولتين على إعادة النظر في عدد من القرارات التي تفرض على اتباع دين من الأديان من رعاياهما واتخاذ سمة خاصة بهم، واستهدفت كل دولة من وراء هذه الإجراءات خدمة سياستها(81). وانطلقت دعوات الخلفاء للإمبراطور في الدعوة إلى الإسلام. وقد حاول الخليفة الرشيد مجادلة الروم البيزنطيين بالتي هي أحسن وهدايتهم ودعوتهم إلى الإسلام، فأرسل إلى إمبراطورهم قسطنطين قبل تولي إيريني الوصاية على ابنها قسطنطين في سنة 181هـ / 797م . برسالة طويلة يشرح له فيها حقائق الإسلام ويؤكد نبوة سيدنا محمدﷺ مستخدماً في ذلك النصوص القرآنية ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة

والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (82) وقد نصح الخليفة الرشيد الإمبراطور باعتناق الإسلام والإيمان به من أجل الدخول إلى الجنة والنجاة من النار، وفي حالة رفضه عليه دفع الجزية (83). ووجه الخليفة المأمون خطاباً إلى إمبراطور الروم تيوفيل رداً على الرسالة التي كان قد بعثها إليه والأرجح أنها كانت قبل سنة 217هـ / 832م أي قبل نزول المأمون على حصن لؤلؤة، ودعاه الخليفة للدخول في الإسلام ((غير أني رأيت أن أتقدم إليكم بالموعظة التي يثبت الله بها عليكم الحجة من الدعاء لك ولمن معك إلى الوحدانية والشريعة الحنيفية فإن أبيت ففدية توجب ذمة وتثبت نظرة))(84) ويظهر من رسالة نيقولا مستيكس إلى الخليفة المقتدر، أن بيزنطة قد انتهت من موضوع الجدل الديني إلى الاعتراف بالاختلاف في الدين والعادات والتقاليد، وأن هذه الأمور لا تمنع من الاتصال الدبلوماسي بينهما (85). وتعد هذه المراسلات على قدر كبير من الأهمية لأنها تكشف النقاب عن العلاقات السلمية الثقافية والحضارية السائدة بين الدولتين آنذاك، كما أنها تمثل سجلاً حياً يعبر عن علاقة العرب المسلمين الدينية بما حولهم من الأديان الأخرى والمسيحية بخاصة.

هـ- الأغراض الاقتصادية:

لم تمنع الحروب المتواصلة بين العرب المسلمين والبيزنطيين من استمرار العلاقات التجارية بينهما، فالموقع الجغرافي للدولتين المتجاورتين كلتيهما ووقوعهما على طرق القوافل التجارية، شجع على استمرار هذه العلاقات بينهما، وكان يقوم بهذه المهمات أحياناً السفراء المكلفون بمهام دبلوماسية(86). فجرت المراسلات الخاصة بالتجارة بين الدولتين كالرسالة التي بعثها الخليفة الرشيد إلى الإمبراطور قسطنطين يدعوه إلى التجارة لتعم البركة وتسهل المنفعة بين الدولتين(87). ودخلت التجارة في بنود المعاهدات المعقودة بين الدولتين، مثل معاهدة عام 165هـ / 781 م بين هارون وإيريني، التي كان ضمن بنودها إقامة الأسواق للجيش العربي الإسلامي لضمان وصوله سالماً، ودفع الجزية التي كانت تؤدي دوراً مهماً في زيادة أموال الدولة العربية الإسلامية(88). ومما يلحظ أن التجار كانوا يصحبون الخلفاء العباسيون في الحملات العسكرية التي شنوها (89)، فحتى الحملات العسكرية كان فيها طابع اقتصادي. وأخذت تجارة العرب المسلمين المكان الأول في التجارة العالمية(90)، وأصبحت من الأغراض الرئيسة للسفارات والمراسلات.

وكانت رغبة بيزنطة كبيرة وواضحة وهي المبادرة في توسيع العلاقات التجارية والاقتصادية، ففي الرسالة التي بعثها الإمبراطور تيوفيل إلى الخليفة المأمون في سنة 217هـ / 832م، التي طلب فيها شرح المتاجر واتصال المرافق وأمن الطرق(91). وكشفت هذه الرسالة عن الجذور الاقتصادية بين الدولتين. وكان الروم البيزنطيون يبادرون دائماً بإرسال الرسائل الخاصة بالنواحي الاقتصادية ومنها التجارة، لإدراكها بعدم

استطاعتها في الاستغناء عن تجارة الدولة العربية الإسلامية. وكانت مدينة طرابزندة التي ضمت أكبر جالية عربية إسلامية أقامت في الدولة البيزنطية مركزاً للنشاط والتبادل التجاري والاقتصادي[92]. فكانت ترد إليها من القسطنطينية المنسوجات الصوفية والكتانية التي استوردها المسلمون بكثرة، فضلاً عن الثياب وأكسية الروم الذي اشتهر بجودته وتفوقه على غيره من المنسوجات، وحمل إليها التجار المسلمون مقابل ذلك، المتاجر الشرقية ومنتجات بلادهم[93].

وهكذا أصبحت التجارة العربية الإسلامية مظهراً من مظاهر أبهة الإسلام، وهي السيدة في بلادها، من خلال سفن العرب المسلمين التي كانت تجوب في البحار والبلاد. وتوافدت قوافل التجار التي كانت تشق الطرق والمسالك لتنقل معها السلع والحضارة مما يفسر الاستثناء الخاص للتجار العرب المسلمين في الدولة البيزنطية ومعاملتهم معاملة حسنة، تختلف عن غيرهم من التجار الأجانب ويرجع ذلك إلى:

1- عدم استغناء بيزنطة عن سلع الدولة العربية الإسلامية وبضائعها.
2- وجود الجاليات العربية الإسلامية في العاصمة ومدن بيزنطة الأخرى، ولهم امتيازات في تشكيل الاتحادات والنقابات البيزنطية دون غيرهم.
3- طبيعة التعامل التجاري الموثوق به مع التجار المسلمين[94].

و- أغراض أخرى:

كان الرسل يترددون بين الخلفاء والأباطرة محاولين عقد المحالفات وإبداء حسن النية والرغبة في إعلان الصداقة وحسن الجوار بين الدولتين، وعن طريق المراسلات التي جرت بينهما، فأشارت المراسلات إلى العلاقات السياسية والاقتصادية التي يمكن أن تكون متينة وقوية، كرسالة الإمبراطور تيوفيل إلى الخليفة المأمون التي دعاه فيها إلى المسالمة وأن يكونوا كالحزب الواحد ضد الأعداء[95]. ورسالة نيقولا مستيكس إلى الخليفة المقتدر والتي أكد فيها أن قوتي العرب والروم أعظم قوتين في العالم أجمع، وتتألقان كالشمس والقمر في السماء، ولهذا يجب العيش معاً كأخوة، على الرغم من اختلاف الطبائع والعادات والدين[96]. وفي هذا تعاون وتعاضد كفيلان بإبقاء المودة وضمان السلام بين الدولتين العربية الإسلامية والبيزنطية.

وهناك أغراض أخرى كالتهنئة والتعزية وتقديم الهدايا وغيرها من الأغراض الأخرى، ففي عهد الخليفة المنصور قدم إليه وفد بيزنطي جاءه مهنئاً لإكماله بناء المدينة الجديدة سنة 149هـ / 766م، واستقبله الخليفة وأطلعه من خلال وزيره على معالم بغداد[97]، وجاء الوفد إلى بغداد لتقديم التهنئة إلى الخليفة المهدي لتوليه منصب الخلافة في سنة 158هـ / 775م [98]، وهكذا اختلفت أغراض الدبلوماسية والسفارات بين سياسية واقتصادية وثقافية وأغراض أخرى مختلفة، أدت بالتالي إلى تطور العلاقات بين الدولتين. وصبت

أهدافها لتحقيق مصالح الطرفين، وعدت أعرافاً دبلوماسية نمت وتطورت إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم من نضوج وتوسع.

5-أهمية المراسلات على الصعيد الدبلوماسي:

تعد المراسلات على قدر كبير من الأهمية بخاصة للدولة العربية الإسلامية، التي كانت تتلقى المراسلات من بيزنطة المبادرة دائماً بإرسال الرسائل، و لم ترسل الدولة العربية الإسلامية رسائلها إليهم في الأغلب إلا جواباً على رسائلهم. مما يدلل على قوة الخلافة العباسية وتفوقها وازدهار حضارتها. وفي الوقت نفسه كانت الدولة البيزنطية تحترم الردود الإسلامية القادمة إليهم، فكان سفراء الروم البيزنطيين عندما يتناولون جواب الخليفة يظهرون اعظاماً واحتراماً له(99). ويدلل على مدى احترامهم للخليفة العباسي وجوابه، الذي يقرر مصيرهم في وقوع حرب أو عملية تبادل الأسرى أو غير ذلك. كالكتاب الذي بعثه الإمبراطور ارمانوس إلى الخليفة الراضي سنة 326هـ / 938م والذي كانت ترجمته العربية بالفضة(100).

وهكذا كانت المراسلات دوراً مهماً ومؤثراً في صعيد العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين ومثلت المراسلات المكتوبة باللغة العربية من الخلافة شكلاً من أشكال تقدم الحضارة العربية الإسلامية، فضلاً عن أن بيزنطة كتبت مراسلاتها باللغتين العربية واليونانية، وهي صيغة اتبعتها بيزنطة في مراسلاتها كما مر من أنها كانت تكتب بلغتين مع دول العالم الأخرى آنذاك(101).

وأن تبادل المراسلات يعد بمثابة الموافقة المبدئية أو محطة متقدمة في تسوية المشاكل والوصول إلى معاهدات صلح ترضي الطرفين أو أنها تبقي مجالاً لحركة العمل الدبلوماسي عن طريق السفارات المتبادلة بين الدولتين. ويظهر من المراسلات أن العرب المسلمين وضعوا قواعد وأساس الدبلوماسية في مجال المراسلات التي ترقى إلى مراسلات اليوم(102).

ثانياً:- أهمية الهدايا:

حمل السفراء والرسل معهم إلى المرسل إليه أطرف الهدايا وألطف المتع وأعجب ما عند المرسل وأندره. وكانت هذه الهدايا متنوعة بأشكالها وأحجامها، وكانوا يتفننون في انتقائها واختيارها ويغالون في جعلها ما يرضي ويعجب فإذا اختاروا ما هو مألوف أخذوا منه أجوده وأحسنه وأغلاه(103). وتعد عملية تبادل الهدايا قديمة الأصل في الدولة العربية الإسلامية، وتعود إلى عصر الرسول محمدﷺ أي إلى سنة خمس للهجرة تقريباً عندما أرسل الرسول محمد ﷺ هديته إلى مشركي قريش وكانت عبارة عن حمل نوى من ذهب (104)، بينهم أثلاثاً. وبالمقابل أرسل المشركون وعلى رأسهم أبو سفيان هدية للرسول محمدﷺ وهي عبارة عن سلاح فقبلهﷺ (105). فكان الرسول محمدﷺ لايرد هدية أحد من الناس، بل يكافئ عليها.

ومن الهدايا الأخرى التي أرسلت إلى الرسول ﷺ، هدية المقوقس عامل قيصر ملك الروم على مصر والإسكندرية وقبلها الرسول محمد ﷺ[106]. فمنذ قيام الصلات الاجتماعية بين العرب المسلمين وجيرانهم جعلوا الهدية والعطية سبيلاً من السبل لدفع الحقد أو كسب الود، ولم يقصروا أمرهما على المال وإنما تفننوا في ذلك على قدر إمكانياتهم وأهدافهم.

واستمرت عادة تقديم الهدايا منذ زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان وظلت كذلك طول عهد الدولة الأموية، حتى جاء الخليفة عمر بن عبد العزيز فأبطلها. ولما قامت الخلافة العباسية، استمرت هذه العادة من جديد وصارت فرضاً عليهم نحو الملوك الآخرين[107]. والهدية إذا كانت من الصغير إلى الكبير، فكلما لطفت ودقت كان أبهى لها، وإذا كانت من الكبير إلى الصغير، فكلما عظمت وجلت كان أوقع لها [108]. وكانت هذه الهدايا تقدم إلى الوزير ليلتمس من الخليفة قبولها، كهدية الإمبراطور تيوفيل إلى الخليفة المعتصم، في محاولة منه لإقامة علاقات ودية بعيدة عن الحروب، فوافق الخليفة لاسيما لأن السفير البيزنطي أبدى الكثير من الذكاء والفطنة مما أدخل السرور على قلب الخليفة، والهدية عبارة عن أربعين ثوباً ديباجاً مذهباً، طول كل ثوب منها أربعون ذراعاً في عرض عشرين[109].

وكان يقصد بهذه الهدايا إظهار التعلق بالمرسل إليه واحترامه، وكلما كانت الهدية عظيمة كان ذلك أدل على عظم شأن المرسل إليه. وكل واحد يهدي على مكانته وقدره والهدية على مقدار مهديها[110]. وكان للهدايا كاتب خاص، يكتب اسم كل مهد، وجائزة كل من يجيز الملك على هديته. مهما كان شأن الهدية صغرت أم كبرت، كثرت أم قلت. فإذا اهدى أحدهم للملك هدية، ثم لم يخرج له من الملك صلة عند نائبه أو حق يلزم ، فعليه أن يأتي ديوان الملك ويذكر بنفسه[111] . فقد منح الخليفة المقتدر السفراء البيزنطيين خمسين بدرة ورقاً وفي كل بدرة خمسة آلاف درهم، وخلع عليهما خلعاً مثقلة ثياباً وطيالسة ومطارف خز مذهبة وعمائم خز[112]، حملوها معهم عند مغادرتهم الدولة العربية الإسلامية. وخلع الخليفة على أبي عمر الطرسوسي الذي رافق سفارة إمبراطور الروم الخلع السلطانية، وحمل على فرس وركب على الظهر وكان ذلك في سنة 305هـ / 917م[113].

والهدايا من العوامل التي تؤدي إلى نجاح مهمات الرسل الدبلوماسية وهي بمثابة الاعتراف بمكانة ومركز المرسل إليه ودليل على حسن النية، وتعكس قيمة الهدية في الدولة العربية الإسلامية زيادة شأن المرسل إليه ودليل على قوة الدولة العربية الإسلامية خاصة وإظهاراً لغناها واعتراف الدول المجاورة بذلك[114] وهي تعكس ثراء الدولة التي اهدي وغناها وكرمها، وعدت من القواعد الدبلوماسية التي أصبحت معروفة ومتطورة في هذه المدة.

1- أنواع الهدايا:

بعد معرفتنا بأهمية الهدايا على الصعيد الدبلوماسي والسياسي يجب معرفة أنواع الهدايا ولمن تقدم وممن؟ إذ درج الناس في العصر العباسي على تقديم الهدايا للخلفاء. وأن هذه الهدايا كانت تقدم في المهرجانات والمناسبات[115]. ما عدا الهدايا التي كانت تحملها الرسل الواردة إلى الخليفة من الولاة والأمراء، أو من أباطرة بيزنطة وملوك الدول الأخرى ويمكن تقسيم الهدايا إلى:

أ-الهدايا المتبادلة بين الخلفاء والأباطرة:

تعد هذه الهدايا على قدرٍ كبير من الأهمية على صعيد العلاقات الدبلوماسية، إذ جرت العادة أن الرسل الأجانب عندما يقدمون في سفارة إلى الخلافة، فإنهم يحملون الهدايا الثمينة معهم، ومصادرنا التاريخية غنية بذكر العجائب والغرائب وألطاف الهدايا وبخاصة في العصر العباسي. وكان على الرسول البيزنطي إيصال الهدية بنفسه إلى الخليفة كإرسال وفد إمبراطور الروم ليو الرابع إلى الخليفة المنصور وقد أتاه بهدايا كثيرة وألطاف وطرائف[116] وتختلف طبيعة هذه الهدايا من زمن إلى آخر، ووجه الإمبراطور نقفور إلى الخليفة الرشيد ثلاثة أسياف مع هدايا كثيرة، وكتب على سيف من هذه السيوف: ((أيها المقاتل، احتل تغنم، ولا تفكر في العاقبة تهزم، وعلى الوجه الآخر منه مكتوب: إن لم تصل ضربة سيفك فصلها بإلقاء خوفك))[117]. وتعبر هذه الهدايا عن عمق الاتصال الثقافي والحضاري بين الدولتين، وتحمل أفكاراً أخرى أرادت إيصالها إلى الخلفاء العباسيين ولكن بصورة غير مباشرة.

وأهدى الإمبراطور تيوفيل إلى الخليفة المأمون هدية، وهي عبارة عن مائتي رطل مسك ومائتي جلد سمور، فقال المأمون: ((اهدو له ما يكون مئة ضعف لها، ليعلم عز الإسلام ونعمة الله علينا به))[118]. فزادوها لهم مائتي رطل مسكاً ومائتي جلد سمورا[119] وهذا دليل على أبهة الدولة العربية الإسلامية وعظمتها والرغبة في إظهارها غنية قوية وكريمة أمام بيزنطة ودليل على غناها وثراء بلاطها. وتلقى الخليفة المتوكل سنة 241هـ / 856م رسولاً من إمبراطور الروم لم يذكر اسمه محملاً بالهدايا، ولكنها وصفت بالهدايا البسيطة[120] وبعث الخليفة المتوكل مع رسوله شنيفاً الخادم بهدايا كثيرة ومتنوعة إلى الإمبراطور ميخائيل الثالث (227-252هـ / 842-867م)، ولم تكن هدايا الخلفاء المسلمين قليلة، فبعد هدية المأمون ومضاعفتها، والخليفة المتوكل وأضعاف هداياه، قام الخليفة المتوكل بإرسال رسوله نصر بن الأزهر محملاً بالهدايا الثمينة نحواً من ألف نافجة مسك وثياب حرير وزعفران كثير وطرائف[121]. ومن الجدير بالذكر أن هذه الهدايا تكون مختومة، وهذا يعني عدم تفتيشها في المحطات التي يتوقف فيها السفير، ويعني أن الهدية ثمينة وقيمة ومرسلة أما إلى

الخليفة أو إلى الإمبراطور، فأمر الإمبراطور ليو الرابع بختم الهدايا التي أرسلها إلى الخليفة المنصور مع الرسول عمارة بن حمزة[122]. وذلك لأنها حصراً على البلاطات ولا يمكن للعامة من الناس امتلاكها لقيمتها وندرتها.

وكان من الواجب على الرسول تسليم الهدية إلى الخليفة شخصياً في مراسم الاستقبال المذكورة سابقاً، حتى إنه كان ينتظر أحياناً أشهراً لمقابلة الخليفة، وهذا ما حصل زمن الخليفة المعتصم، عندما بقيت هدية الإمبراطور تيوفيل موقوفة لمدة ستة أشهر لانشغال الخليفة بشؤون الدولة[123]. وكذلك الهدايا التي حملها نصر بن الأزهر إلى الإمبراطور ميخائيل الثالث، عندما دخل عليه فوجده على سرير فوق سرير، والبطارقة حوله قيام، فجلس الرسول على طرف السرير، ووضع الهدايا بين يديه[124]. وهذا يوضح طريقة تقديم الهدايا التي تكون ضمن رسوم دبلوماسية معينة.

ب- الهدايا المقدمة إلى السفراء والحاشية[125]:

فقد كان الرسل يكرمون منذ أبعد الأزمان، وظهر هذا الإكرام واضحاً في العصر العباسي، فقد أظهروا العناية الفائقة بسفراء الدول الأخرى، تقديراً لدورهم وللصعوبات التي تواجههم ومن أجل انجاح مهامهم، ليعلم هؤلاء الرسل الواردون أنهم بحضرة خليفة قوي وشديد تهاب صولته وتخشى غضبته ويصل كرمه إلى كل من يتصل به، فقد أمر الخليفة المهدي وزيره الربيع بن يونس بإنزال وإكرام السفير البيزنطي[126]. وذلك نتيجة لقول السفير بأنه لم يقدم على الخليفة لمال ولا لغرض وإنما شوقاً إليه وإلى النظر في وجهه[127]. وتبرز هنا اللباقة الدبلوماسية عند السفير في وضع عرف دبلوماسي يشكل علامة مميزة في هذا العصر في إكرام السفراء وهذا ما فعله الخليفة المقتدر بإكرامه لرسل الإمبراطور البيزنطي القادمين اليه[128].

وتعد الهدايا المقدمة إلى السفراء وحاشيتهم دليلاً على كرم الخلافة العربية الإسلامية وغناها الاقتصادي وأبهتها في بلاطها. ويظهر إكرام الرسل في الاستقبال والدعوات التي تقام لهم، ويلحق بهذه الدعوات أن الخلفاء كانوا يأخذون الرسل معهم لمشاهدة لعب الكرة في الميدان[129]. وتساعد هذه الهدايا الرسل في طريق عودتهم إلى بلادهم في عدم تفتيشهم في محطات الحدود، أو كمؤونة لهم، وتعكس لهم قوة البلاط العباسي وإدارته في جميع أقاليم الخلافة. وتجدر الإشارة إلى أن أباطرة الروم البيزنطيين كانت تهدي الرسل الهدايا تعبيراً عن مكانتها، فأهدى أبو عبد الله محمد بن أبي الساج أحد رسل الخليفة المعتضد (279-289هـ / 892-902م) هدايا متفرقة للخليفة في عدة دفعات واختلفت أنواعها وبضائعها وأثمانها. وكان الإمبراطور الإسكندر (256-299هـ / 871-912م) قد أهداها إلى ابن أبي الساج في إحدى سفاراته إلى بيزنطة[130]. ومصادرنا التاريخية مليئة بأخبار هذه التحف والهدايا المتبادلة بين خلفاء الأرض وملوكها، كما أشرنا إليها.

2- أشكال الهدايا، من حيث الحجم والاستخدام ومادها المصنوعة منها:

فقد اختلفت أشكال الهدايا وأصنافها المتبادلة بين الدولة العربية الإسلامية والدول المجاورة لها ومنها الدولة البيزنطية، فكانت لا تقتصر على المأكل والملبس والحيوان، وإنما تتصل بالمال والزينة والذهب، والثمين في قضيب زمرد، وعقد في ألف ألف درهم، وطائر ياقوت، وثلاثين قنطاراً من ذهب(131). فالعرب المسلمون كانوا معروفين بالخيل العراب والنعام والنجائب والقانة والأدم (132)، وما يمتلكون من سلع وبضائع أخرى تأتيهم من دول العالم الأخرى كالهند والصين، التي تعد نادرة وثمينة وفاخرة . أما الروم البيزنطيون فكانت أغلب هداياهم تضم أواني الفضة والذهب والدنانير الخالصة القيسرانية والبزيون والديباج والبراذين الفره وطرائف الشبه واللاذة وغيرها من البضائع المشهورة الأخرى(133).

وبذلت الدولة العربية الإسلامية الكثير من الأموال لإضفاء طابع الهيبة والقوة ليس مع الروم البيزنطيين فحسب، بل وصلت هداياها إلى شارلمان من خلال البعثة التي أرسلها إلى الخليفة الرشيد لتوثيق العلاقة بينهما، وعن تبعية بيت المقدس الدينية لشارلمان، كما توردها المصادر اللاتينية، ويستبعد من هذه البعثة الرواية التي تقول في تبعية بيت المقدس لشارلمان، لأنها مجرد رواية لاتينية هدفها إضفاء الصبغة الدينية لدولة شارلمان وقوها في أوروبا مقارنة بالدولة البيزنطية التي كانت قد أبعدت نهائياً من الأراضي العربية، وهو جزء من الصراع بين الدولتين المسيحيتين لاغير. ومما أهدى الخليفة الرشيد إلى شارلمان فيلا لم ير الناس مثله في دولة شارلمان، وقدم إليه خيمة مصنوعة من القطن ومن الحرير النادر، وشمعدانين كبيرين مصنوعين من النحاس، وساعة مائية وروائح عطرية(134). وكذلك كانت سفارة الخليفة المأمون إلى شارلمان سنة 216هـ / 831م، محملة بالهدايا من أقمشة وحرير وعطور(135).

ويتبين لنا مدى ما بذلته الدولة العربية الإسلامية من أموال لتقديم الهدايا الثمينة إلى الملوك، وبعض تلك الهدايا من سلع وبضائع الدولة العربية الإسلامية والآخر مستورد من دول أخرى، وهنا تظهر عملية تمازج حضاري بين الأمم مصاحباً للتفاعل الحضاري العالمي، وهنا ظهر الدور الآخر للدولة العربية الإسلامية في لقاء الحضارات وتفاعلها.

3- أغراض الهدايا:

بعد معرفتنا بأهمية الهدايا في تغيير مجرى العلاقات الدبلوماسية وتعميق العلاقات بين الدول، وأهميتها في تحسين العلاقات السياسية والاقتصادية، فضلاً عن أشكالها وأنواعها، التي تباينت في أثمانها وأحجامها، واختلفت بين الخلفاء والملوك، وبينهم وبين الولاة والأمراء وعامة الناس. ويمكن تقسيم هذه الأغراض إلى:-

1- أن مهمة السفراء أحياناً حمل هدية فقط للمرسل إليه، كالخليفة المأمون الذي استقبل سفير الإمبراطور تيوفيل وهو محمل بهدية ثمينة له[136].

2- قد تكون الهدايا مرتبطة بأغراض وأهداف أخرى، وعلى شكل طلبات، ففي زمن الخليفة المكتفي في سنة 294هـ / 906م جاء رسل الإمبراطور ليو السادس (271-299هـ / 886-912م) ومعهم هدية إلى الخليفة لطلب الفداء[137]، ومجيء السفراء البيزنطيين إلى الخليفة المقتدر في سنة 305هـ / 917م لطلب الفداء والتماس الهدنة منه وكان معهم هدايا ثمينة[138]. وكانت سفارات الفداء محملة دائماً بالهدايا والعطايا، وأهدى الإمبراطور أرمانوس إلى الخليفة الراضي سنة 326هـ / 938م هدايا نفيسة منها صياغات وثياب ديباج ومقارم وآنية ذهب، طريفة الصياغة ومعها كتاب فيه رغبة بيزنطة بإجراء الفداء وعقد الهدنة[139].

وذكر الإمبراطور أرمانوس صفة الهدايا التي أرسلها إلى الخليفة الراضي سنة 326هـ / 938م في كتابه: ((وقد وجهنا شيئاً من الألطاف، وهي أقداح من ذهب وفضة، ..... وأشياء كثيرة فاخرة))[140]. ووافق الخليفة الراضي على إجراء الفداء وقبل بهداياهم النفيسة فقد قال: ((إن أمير المؤمنين قد أسعفكم بما رغبتم وأصبتم في هديتكم))[141]. وهو إجراء دبلوماسي كيلا تتعرض البضاعة والسلعة إلى التفتيش والمصادرة إن لم تكن مختومة كما مر. وهي بمثابة التصريح الجمركي في الوقت الحاضر لتكون معفاة من الضرائب والإجراءات الأخرى.

3- وتختلف المطالب البيزنطية من حين لآخر، فلو ابتعدنا عن طلب إجراء الفداء وعقد الصلح والهدن، نجد أن الإمبراطور نقفور كتب إلى الخليفة الرشيد مع بطريقين من بطارقته في جارية من سبي هرقلة كان قد خطبها لابنه ووصفها بأنها لا تضر الخليفة في دينه ولا دنياه هينة ويسيرة ويطلب إسعافه بحاجته تلك[142]. فأمر الخليفة الرشيد بإحضار الجارية وأعطاها المضرب الذي كان نازلاً فيه بما يحوي من أثاث وآنية ومتاع. وأثقلها بالهدايا، وبعث إلى نقفور بما سأل من العطر وكمية من التمور والأخصبة والزبيب والترياق[143]، وفي مقابل ذلك أرسل نقفور إلى الخليفة الرشيد كتاب شكر على أريحيته وشهامته، وأرفق الكتاب بالكثير من الهدايا الثمينة، وتضمنت وقر دراهم إسلامية على برذون كميت كان مبلغه خمسين ألف درهم ومائة ثوب ديباج ومائتي ثوب بزيون[144].

4- وتأتي الوفود محملة بالهدايا لغرض التهنئة وتقديم المباركات وإثبات حسن النية كقدوم الوفد البيزنطي إلى الخليفة المنصور لتقديم التهنئة له باسم الإمبراطور البيزنطي بمناسبة الانتهاء من بناء مدينته الجديدة بغداد وانتقاله إليها، وكان الوفد محملاً بالهدايا الكثيرة والألطاف والطرائف الغريبة[145]. وكذلك الوفد البيزنطي الذي أرسله الإمبراطور ليو الرابع الخزري (158-163هـ / 775-780م) القادم لتهنئة

الخليفة المهدي لتوليه الخلافة في سنة 158هـ / 775م [146]، وأصبحت الهدايا غرضاً مهماً من أغراض الدبلوماسية قديماً وحديثاً، فكانت الرسل تتردد للتهنئة تارة، وللتعزية تارةً أخرى مصحوبة بالهدايا.

وجرت العادة على أن تقدم الهدايا داخل البلاطات وفي حفل رسمي، وظهر نوع آخر في طريقة تقديم الهدايا خارج البلاطات، كأن تكون على الحدود بين الدولتين كإهداء الأسرى بين الدولتين، كما فعل الإمبراطور تيوفيل بعرضه على الخليفة المأمون رد خمسمائة أسير على الحدود بين الدولتين[147]. وهذه الهدية تدل على إبداء حسن نية بيزنطة بخاصة، ورغبتها في إقامة السلام والعلاقات الودية بينهما.

واستمرت الهدايا المتبادلة بين الطرفين إلى زمن متأخر من عهد الدولة العباسية فتلقى الخليفة المستنصر سنة 437هـ / 1049م هدية الإمبراطور قسطنطين [148]، ولم يسبقه أحد من أباطرة بيزنطة بمهاداة مثلها إلى من تقدم من الخلفاء المسلمين، وذلك لسعة نفسه وكبير مروءته كما ورد في المصادر التاريخية [149]. وعلى الرغم من أن هذه المدة بعيدة عن مدة البحث، ولكن يجب تثبيتها لغرض التدليل على استمرار العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين واستمرار تبادل الهدايا بينهما، وهو يعكس بقاء هيبة الخلافة وقوتها ماثلة في البلاط البيزنطي.

ووردت إلى الدولة العربية الإسلامية الكثير من الهدايا لم تكن من الدولة البيزنطية فحسب، بل من الدول الأخرى، كالهند ودولة الفرنجة والبلغار والصين وغيرها. فقد أهدى بعض ملوك الهند إلى الخليفة الرشيد قضيب زمرد أطول من ذراع وعلى رأسه تمثال طائر ياقوت أحمر، وقوم هذا الطائر على حدته بمائة ألف دينار[150]. وقد أهدى ملك الهند إلى الخليفة المأمون العجيب والغريب من الهدايا، ورد عليه الخليفة المأمون بهدايا أخرى، فكانت الهدية فرساً بفارسه وجميع آلاته من عقيق، وكان كتاب المأمون في صحيفة ذي وجهين، وغلظ الخط أصبع [151]. وهذا دليل على أبهة الدولة العربية الإسلامية وقوتها مقابل الدول الأخرى.

وكان للهدايا المتبادلة بين الدولة العباسية والدولة الإفرنجية دليلاً على تطور العلاقات السياسية بين الدولتين، بخاصة زمن الخلفاء المنصور والرشيد والمأمون والهدايا العجيبة واللطيفة والغريبة المتبادلة بينهما[152]، والتي استمرت حتى عهد الخليفة المكتفي عندما أهدته ملكة الإفرنجة هدية تكرمة واستجلاباً لمودته وتضمنت هديتها. خمسين سيفاً، وترساً، ورمحاً فرنجية، وعشرين ثوباً منسوجة بالذهب، وأخرى مصنوعة من صوف، وغيرها من الهدايا والألطاف الغريبة[153] وأخيراً فإن الهدية هي سنة من سنن رسول الله ﷺ وأدب وأخلاق الملوك وعمارة المودة بين الدول، وتقليد عرف دبلوماسي مازال قائماً حتى اليوم لتعكس طبيعة العلاقات الدبلوماسية بين الدول.

الخاتمة:

يتضح من خلال استعراض البحث ما يأتي:

1- إن العلاقات المتباينة بين الدولتين العربية الإسلامية والبيزنطية، نشطت في العصر العباسي خاصة، قد أدت إلى توسع العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية وازدهارها. ونالت اهتمام الدولة وعنايتها، فنظمتها بشكل دقيق ومنظم، فأصبحت تلك العلاقات تخضع لقواعد وضوابط محددة تتلاءم وروح العصر وتنسجم مع مركز الدولة ونمطها.

2- وقد جاءت الهدايا مرحلة ثانية ومكملة لمحور المراسلات، التي شكلت عاملاً مهماً من عوامل تحسين العلاقات بين الدولتين، لأنها تدل على إبداء حسن النية وبداية لفتح صفحة جديدة كانت قد أقرتها السفارات السابقة بين الدولتين المتجاورتين.

3- وأخيراً نجد أن العرب المسلمين كانوا أساتذة الدبلوماسية، وكان هذا باعتراف من أباطرة بيزنطة أنفسهم، ولنا نحن الباحثين أن نفتخر بهم لما تركوه لنا من إنجازات حضارية وفكرية عظيمة.

الهوامش

- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، التنبيه والإشراف، (بيرو: منشورات دار ومكتبة الهلال، 9181)، ص 252.

2- محمد بن عبد الله الأزدي، تاريخ فتوح الشام، تحقيق: عبد المنعم عبد الله عامر، (القاهرة: مؤسسة سجل العرب، 1970)، ص 30.

3- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979)، ج6، ص 436؛ وللمزيد ينظر: محمد بن احمد بن ابي بكر البناء المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، (ليدن: مطبع بريل، 1906)، ص 81.

4- للمزيد ينظر: أبو عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ط2 ، شرحه ورتب فهارسه وصححه: أحمد أمين، احمد الزين، إبراهيم الأبياري، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1956)، مج2، ص202.

5- أحمد عبد الكريم سليمان، المسلمون والبيزنطيون في شرقي البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس هـ / التاسع والثاني عشر م، ط1، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1982)، ص 278.

6- أحمد بن ابي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، تاريخ، ط4، تقديم وتعليق السيد محمد صادق بحر العلوم، (النجف: منشورات المكتبة الحيدرية، 1974)، ج2، ص465.

7- أبو الحسن أحمد بن القاضي الرشيد بن الزبير الذخائر والتحف، (القرن الخامس الهجري)، تحقيق: د.محمد حميد الله، تقديم ومراجعة: د. صلاح الدين المنجد، (الكويت: دائرة المطبوعات والنشر، 1959)، ص61.

8- نورمان بيتر، الإمبراطورية البيزنطية، ط1، تعريب: د. حسين مؤنس، محمود يوسف زايد، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1950)، ص 364.

9- سليمان، المرجع السابق، ص 277.

10-أبو علي الحسين بن محمد المعروف بابن الفراء، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1947)، ص41.

11-الطبري، المصدر السابق، ج9، ص333. وتجدر الإشارة إلى أن هذه المراسلات تشمل أيضاً المراسلات المتبادلة بين الأباطرة وقادة العرب العسكريين أو بين الخلفاء وقادة بيزنطة العسكريين أو إلى سكان إقليم معين ... الخ.

12- حمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط1، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987)، ج7، ص17؛ وينظر: ابن الفراء، المصدر السابق، ص46.

13- تحدد الحوليات البيزنطية كانون الثاني وشباط سنة 905م رسالة خيروسفاكتس إلى الشرق (ثغور العباسيين)، وفي شتاء 905م رسالة الوزير والرد عليها، وفي أيلول سنة 906م رسالة الوزير الثانية واتفاقه مع أمير طرسوس. للمزيد ينظر:

R.J Jenkins" Leo choerosphactes and he Saracen Vizier" in studies on Byzantine History of 9th and 10th Centuries, (London 1970) p.167-175.

14- سليمان المرجع السابق، ص 50، 77.

15- أبو الحسين هلال بن المحسن الصابيء، رسوم دار الخلافة، ط2، تعليق وتحقيق: ميخائيل عواد، (بيروت: دار الرائد العربي، 1986)، ص104.

16- أحمد فريد الرفاعي، عصر المأمون، ط4، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1928)، ج2، ص188.

17- القلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص263.

18- م . ن.، ج7، ص50.

19- أبو بكر أحمد بن علي بن الخطيب، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت)، ج3 ، ص344.

20- القلقشندي، المصدر السابق، ج7، ص54.

21- الطبري، المصدر السابق، ج6، ص501.

22- أ. أ فازيليف، العرب والروم، ترجمة: د. محمد عبد الهادي شعيرة، راجعه: د. فؤاد حسنين علي، (بروكسل: دار الفكر العربي، 1934)، ص103.

23- الطبري، المصدر السابق، ج10، ص 283.

24- اليعقوبي، المصدر السابق، ج2، ص465.

25- القلقشندي، المصدر السابق، ج7، ص67.

26- الطبري، المصدر السابق، ج10، ص289.

27- R.J. Jenkins: "The mission of st. Demetrrianus of Cyprus to Baghdad" In Studies on Byzantine History of 9-10 th Century. P. 268-273.

28- القلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص263.

29- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص344 ؛ وينظر: ابن الفراء، المصدر السابق، ص44.

30- المسعودي، المصدر السابق، ص 159.

31- ف. ف. بارتولد، دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى، ط1، ترجمة: عزيز حداد، (بغداد: مطبعة أسعد، 1973)، ص53.

32-محمد بن عبدوس الجهشياري، الوزراء والكتاب، ط1، تحقيق ونشر: مصطفى السقا وآخرون، (القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي، 1938)، ص 24-25. واللغة الدبلوماسية هي اللغة المرنة التي تقبل أوجهاً عديدة ولا توقع جانب معين في حرج وذلك لحدها وقطعيتها.

33- أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، أدب الكتاب، تعليق: محمد بهجت الأثري، (القاهرة: المطبعة السلفية، 1922)، ص 141.

34- محمد مختار الزقزوقي، دراسات دبلوماسية، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1972)، ص145.

35- شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ط1، (الكويت: وكالة المطبوعات، 1973)، ج2، ص302 نقلا عن كتاب التاريخ العام لفاردان الأرمني، (الترجمة الفرنسية بعنوان الحكم العربي في ارمينية - نشر مويلدر مانز، باريس، 1927)، ص59.

36- الطبري، المصدر السابق، ج10، ص93؛ وينظر: عزالدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ، (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1965)، ج6، ص61.

37- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص344.

38- مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق: نبيلة عبد المنعم داؤد، (النجف: مطبعة النعمان، 1972)، ج3، ص375.

39- لقد استخدمت وسيلة ضرب الطبول كوسيلة مسموعة لإعلان الجهاد والحرب. للمزيد ينظر: عمر بن إبراهيم الأوسي الأنصاري، تفريج الكروب في تدبير الحروب، تحقيق وترجمة: د. جورج سكانلون، (القاهرة: منشورات الجامعة الأمريكية، 1961)، ص12؛ وينظر أبو سعيد الشعراني الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، تحقيق: عبد الرؤوف عون، مراجعة: د. محمد مصطفى زيادة، (القاهرة: مطبعة مصر، 1974)، ص26؛ وينظر: عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، (مصر: دار المعارف، 1961)، ص217.

40- ابن الزبير، المصدر السابق، ص60.

41- عن الدبلوماسية البيزنطية ينظر: ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1961)، ص187.

42- الطبري، المصدر السابق، ج10، ص283.

43- المسعودي، المصدر السابق، ص177.

44- ابن الفراء، المصدر السابق، ص34.

45- عن السجون ينظر: أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، (بيروت: دار مكتبة الهلال، 1979)، ص213.

46- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، الخطط المقريزية، (لبنان: مطبعة الساحل الجنوبي، 1978)، ج3، ص106.

47- الباز العريني، الدولة البيزنطية 323-1081م، (القاهرة: دار النهضة، 1965)، ص285 وينظر: الطبري، المصدر السابق، ج11، ص19. وانظر:

J.B.BURY: A History of Eastern Roman Empire. London: 1912. وقد اعدم ايتيوس في سامراء، ويسمى ياطس عند الطبري، ج9، ص125.

48- القلقشندي، المصدر السابق، ج7، ص16؛ وللمزيد عن الأفدية في هذه المدة ينظر: المسعودي، المصدر السابق، ص179؛ وينظر: طه خضر عبيد، "معاملة الدولة البيزنطية للأسرى العرب المسلمين ومحاولات توطينهم 132-335هـ / 750-946م"، مجلة التربية والعلم، العدد 16، (1994)، ص 114-115.

49- عون، المرجع السابق، ص295.

50- الطبري، المصدر السابق، ج10، ص92 ؛ وينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج6 ، ص185.

51- الطبري، المصدر السابق، ج10، ص283.

52- عن ثورة توماس وكريت وصقلية ينظر: طه خضر عبيد، "إمارة اقريطش العربية الإسلامية 211-350هـ"، مجلة التربية والعلم، العدد 23، (1999)، ص68-85.

53- عن اللاجئين ينظر:

Bury, OP. Cit.P. 86.

54- J.H. Jenkins: "The Relation Between Byzantium and the Arabs". Hamilton A.R. GIBB, D.O.P. 18(1964). P,P - 363-365.

55- الطبري، المصدر السابق، ج11، ص696؛ وينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص61.

56- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص344.

57- عن حركة بابك ينظر: الطبري، المصدر السابق، ج11، ص332؛ وينظر: عماد إسماعيل خليل، السياسة الداخلية والخارجية للدولة العباسية في عهد أبي اسحاق المعتصم. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة الموصل. كلية الآداب (1979). مطبوعة على الآلة الكاتبة. ص56، 160 -190.

58- فازيليف، المرجع السابق، ص111.

59- الطبري، المصدر السابق، ج10، ص284، 290.

60- للمزيد ينظر: سليمان، المرجع السابق، ص277؛ وعن هذه الرسالة ينظر:

R. J. Jenkins" :Letter 101of the Patriarch Nicholas Mysticus".
In Studies on Byzantine History. Op. Cit. Pp. 75-80.

61- الطبري، المصدر السابق، ج9، ص347؛ وينظر: ابن الأثير، المصدر السابق ج6، ص66.

62- J. M. Hussey : "Treatment of foreign ambassadors", the Cambridge medieval History, v : Iv. University press, 1967,p.706.

63- الطبري، المصدر السابق، ج10، ص283.

64- القلقشندي، المصدر السابق، ج7 ص72.

65- للمزيد عن بنود المعاهدة ينظر: الطبري، المصدر السابق، ج9 ، ص347.

66- م.ن، ج10، ص500.

67- سليمان، المرجع السابق، ص23.

68- حسن فاضل زعين، العلاقات السياسية الخارجية، بحث ضمن كتاب، حضارة العراق، تأليف: نخبة من الباحثين العراقيين، (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1984)، ج6، ص313.

69- عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ضمن كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، (القاهرة: لجنة البيان العربي، 1962)، ج1، ص421؛ وللمزيد ينظر: سعيد الديوه جي، بيت الحكمة، ط2، (بغداد: مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، 1972)، ص10.

70- أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب المعروف بابن النديم، الفهرست (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت)، ص339.

71- إبراهيم أحمد العدوي، الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، ط2، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 1958)، ص173.

72- موفق سالم نوري، العلاقات العباسية البيزنطية 132-247هـ / 750-861م، دراسة سياسية حضارية، ط1، (بغداد: مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، 1990)، ص342؛ وينظر: Bury, op. Cit p.337.

73- رنسيمان، المرجع السابق، ص358.

74- مصطفى، المرجع السابق، ج1، ص414.

75- أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة، المسالك والممالك، تحقيق: دي خويه، (بريل: 1889)، ص106-107.

76-للمزيد ينظر: ابن عبد ربه، المصدر السابق، مج2، ص201؛ وينظر: إبراهيم أحمد العدوي، السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى، (مصر: دار المعارف، 1957)، ص21.

77- ابن النديم، المصدر السابق، ص340.

78- ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص107.

79- ابن النديم، المصدر السابق، ص25 .

80- العدوي، الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، ص191.

81- سورة النحل، الآية .

82- للمزيد ينظر: الرفاعي، المرجع السابق، ج2، ص188.

83- الطبري، المصدر السابق، ج10، ص284.

84- سليمان، المرجع السابق، ص277.

85- القلقشندي، المصدر السابق، ج7، ص15.

86- الرفاعي، المرجع السابق، ج2، ص233.

87- الطبري، المصدر السابق، ج8، ص145.

88-م.ن.، ج8، ص152؛ وينظر: الرهاوي، تاريخ الرهاوي المجهول. عربه عن السريانية الأب البيرأبونا، (بغداد: مطبعة شفيق، 1986)، ص48.

89- آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية: محمد عبد الهادي أبو ريدة، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1941)، ج2، ص312.

90- الطبري، المصدر السابق، ج10 ،ص283؛ وللمزيد ينظر:

V.P.Sivers Taxes and Trade . In the Abbasids Thughur 132-1. The Journal of the Economic and Social History of the Orient. Vol.: XXV 25.1982 .p.150

91- العدوي، الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، ص148.

92-وللمزيد عن معارض طرابزندة السنوية ينظر: ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط4، (بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر،1981)، ج1 ص140؛ وينظر :موريس لومبار، الإسلام في عظمته الأولى من القرن الثامن حتى القرن الحادي عشر الميلادي، ترجمة: ياسين الحافظ، ط1، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1977)، ص200.

93- طه خضر عبيد، العلاقات التجارية بين الخلافة العباسية والإمبراطورية البيزنطية 750-969م، (رسالة دكتوراه غير منشورة، مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة اثينا، 1988).

94- الطبري، المصدر السابق، ج10، ص283.

95- سليمان، المرجع السابق، ص277.

96- الطبري، المصدر السابق، ج9 ،ص262؛ وينظر: الجهشياري، المصدر السابق، ص253.

97- ابن الخطيب، المصدر السابق، مج1، ص92.

98- ابن الزبير، المصدر السابق، ص138.

99- م.ن.، ص60.

100- M. Canard: Byzance Relations Politiques et Socales enter Byzance et les Arabs. In D.O.P.18, (1964) p.345.

101-فاضل زكي محمد، الدبلوماسية في عالم متغير (بغداد: دار الحكمة للطباعة والنشر، 1992، ص263).

102- المنجد، المرجع السابق، ص154.

103- والنواة = خمسة دراهم. وللمزيد عن الأوزان والمقاييس ينظر: علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1978) ، ص147؛ وينظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص440؛ وينظر: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، إغاثة الامة بكشف الغمة، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1940)، ص 47-72.

104- ابن الزبير، المصدر السابق، ص6.

105- فقد بعث المقوقس بجاريتين أختين هما مارية وسيرين، وبغلة شهباء سماها الرسول محمدﷺ دلدل، بسرجها ولجامها، وحماراً سماه الرسول محمدﷺ يعفور وفرسا سماه لزازﷺ، فضلاً عن ألف مثقال ذهب، وعشرين ثوباً من قباطي مصر، مع طرف من طرفهم. يقال أنها كسوة وقدحاً من قوارير كان الرسول محمدﷺ يشرب الماء فيه. ينظر: محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، 1960)، ج1، ص259؛ وللمزيد ينظر: ابن الزبير، المصدر السابق، ص8.

106-أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر للجميع، 1968)، ص62.

107-أبو عثمان سعيد وأبو بكر محمد الخالديين، التحف والهدايا، تحقيق: سامي الدهان، (القاهرة: دار المعارف، 1956)، ص13.

108-ابن الفراء، المصدر السابق، ص34.

109-أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق وتقديم: فوزي عطوي، (بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب والطباعة والنشر والتوزيع، 1970)، ص148.

110-م.ن.، ص149.

111-ابن الزبير، المصدر السابق، ص138.

112-ابن الخطيب، المصدر السابق، مج1، ص105؛ وللمزيد ينظر: العدوي ،السفارات الإسلامية إلى أوروبا، ص90.

113-المنجد، المرجع السابق، ص155.

114-صلاح الدين المنجد، الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي، (بيروت: دار الحياة، 1957)، ص62.

115-أبو عبد الله الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، (بغداد: مطبعة العاني، 1972)، ص68.

116-أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط1، (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، 1953)، ص98؛ وللمزيد عن هذه الرواية ينظر: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط4، (بيروت: منشورات دار الجليل، 1972)، ص79؛ وينظر: ابو الحسن علي بن محمد الماوردي، نصيحة الملوك، تحقيق: محمد جاسم الحديثي، (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1986)، ص50.

117-الخالديان، المصدر السابق، ص259؛ وينظر: ابن الزبير، المصدر السابق، ص28.

118-شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي المحلي، المستطرف في كل فن مستظرف، (القاهرة: المراسلات، 1938)، ج2، ص53-55.

119-فازيليف، المرجع السابق، ص241 .

120- الطبري، المصدر السابق، ج11، ص61.

121- أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمذاني المعروف بابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، (ليدن: مطبع بريل، 1885)، ص139.

122- ابن الفراء، المصدر السابق، ص35.

123- الطبري، المصدر السابق، ج11، ص61.

124-هناك أنواع أخرى من الهدايا وهي بين الخلفاء وولاتهم وهذه لا تختلف في جودتها ونوعياتها عن الهدايا السابقة، كونها فقط مقدمة من الولاة وعامة الناس. وللمزيد ينظر: ابن الزبير، المصدر السابق، ص19، 28، 30. وفي مقابل ذلك أهدى الخليفة المعتصم مثلاً إلى الكعبة قفلا من ذهب فيه الف مثقال دليلاً على ولائه للدين الإسلامي المتمثل بالكعبة المشرفة، ينظر م. ن. ص36.

125- ابن الخطيب، المصدر السابق، مج 1، ص92.

126- م. ن.، مج 1، ص93.

127- م. ن.، مج 1، ص105.

128- المقريزي، الخطط، ج2، ص117.

129-ابن الزبير، المصدر السابق، ص 45.

130-الخالديان، المصدر السابق، ص13. وجدير بالذكر انه كانت تقدم للخلفاء ثياب الفرفير (الحرير) وهو محتكر للاباطرة والارستقراطية في بيزنطة فقط بالاضافة إلى الاواني والتحف الأخرى.

131-القانة: جمعها القان وهو شجر جبلي ينبت بجزيرة العرب ويتخذ منه القسي. والأدم هو: هم الجلد المدبوغ إذا كان عليه شعره أو صوفه أو وبره. للمزيد ينظر: أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ، التبصر بالتجارة، نشر وتصحيح وتعليق: حسن عبد الوهاب التونسي، ط2، (القاهرة: المطبعة الرحمانية، 1935)، ص 26.

132- اللاذة: ثوب حرير أحمر ينسج بالصين. ينظر: م.ن.، ص26.

133-جوزيف رينو، الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادي، تعريب وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، (بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر، 1984)، ص121؛ وهناك آراء ومناقشات عن هذه المراسلات كما أوردها بارتولد، المرجع السابق، ص105.

134-رينو، المرجع السابق، ص137.

135-محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات والدليل عليها، تحقيق: د. إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، 1979)، ج1، ص197؛ ووردت الأمثلة الكثيرة عن هذه الهدايا زمن الخلفاء العباسيين والتي قدمت اليهم من ملوك العالم.

136-وكانت الهدية عبارة عن عشرة أسارى من المسلمين. للمزيد ينظر: الطبري، المصدر السابق، ج11، ص342.

137- ابن الزبير، المصدر السابق، ص130.

138- الخالديان، المصدر السابق، ص218؛ وللاطلاع على تفاصيل هذه الهدية وصفتها ينظر: ابن الزبير، المصدر السابق، ص 60-65.

139- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، (بغداد: الدار الوطنية، 1990)، ج6، ص293.

140- ابن الزبير، المصدر السابق، ص65.

141- الطبري، المصدر السابق، ج10، ص98.

142- م.ن.، ج 10، ص99.

143- م.ن.، ج10، ص99؛ وللمزيد ينظر: عبد الجبار الجومرد، هارون الرشيد دراسة تاريخية اجتماعية سياسية، (بيروت: مطبعة دار الكتب، 1956)، ج2، ص533.

144- ابن بكار، المصدر السابق، ص68.

145- ابن الخطيب، المصدر السابق، مج 1، ص 92.

146- الطبري، المصدر السابق، ج 10، ص289؛ وينظر: فازيليف، المرجع السابق، ص 104؛ وعن إهداء الأسرى ينظر: طه خضر عبيد، معاملة الدولة البيزنطية للاسرى العرب المسلمين ومحاولات توطينهم 132-335هـ / 750-946م، ص 101-115.

147-للتعرف إلى هذه الهدية ينظر: الخالديان، المصدر السابق، ص 261؛ وللمزيد ينظر: ابن الزبير، المصدر السابق، ص74-76، 81.

148-م.ن.، ص 74.

149-الخالديان، المصدر السابق، ص256؛ وينظر عن البلغار والصقالبة: أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس، تحقيق وتعليق وتقديم: سامي الدهان، ط2، (دمشق: مديرية إحياء التراث العربي، 1977)، ص 135؛ وينظر عن الصين: فيصل السامر، الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى، ط2، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1986)، ص176.

150-م.ن.، ص 164.

151-عن علاقة شارلمان بالخلفاء العباسيين الأوائل ينظر: رينو، المرجع السابق، ص 102، 121، 137.

152-كانت ملكة الإفرنجة تدعى برتا بنت الأوتاري. للمزيد ينظر: الهامش رقم 4، الخالديان، المصدر السابق، ص165.